Melanie Magidow
e: hello@melaniemagidow.com
w: melaniemagidow.com

١ يونيو ٢٠٢٣

# النساء في الطرب المغربي الأصيل

بقلم هدى الفشتالي | مكنس، المغرب

لأمد طويل كانت النساء في المغرب محرومات من الوصول إلى عالم الموسيقى ( التاريخ لا يوثق فنانة مغربية قبل الأربعينيات ) ، لذا كان على المرأة المغربية أن تقود معركة حقيقية حتى تتمكن من التعبير عن موهبتها. وظهرت بعض التطورات في هذا المجال مع افتتاح المعاهد الموسيقية الوطنية في فاس وتطوان ومراكش والرباط ومكناس والدار البيضاء في أوائل الأربعينيات . حتى أن بعض الطلاب الموهوبين اصبحوامعلمين هناك. سمحت هذه المعاهد الموسيقية الوطنية للنساء المغربيات بإبراز حساسيتهن الموسيقية ، سواء كن عازفات قانون أو عود أو سنيترا أو مغنيات القين هذا التراث الموسيقي بأصواتهن الرائعة وعمق حيهن الفني . كما اعترف بالمكانة الكبيرة للمرأة في نقل الفن ، والذي كان لفترة طويلة جداً مجالا مخصصًا حصريًا للرجال. سيساعد المعهد الموسيقي في تطوان ، الذي تم إنشاؤه في عام 1940 ، في تدريب جيل كامل من المطربات . عبد الصادق شقارة ( توفي عام 1998 ) ابدع ببراعة بأسلوب جديد للتعبير الشعبي و أثار بتقدير كبير اسم منانة الخراز ، وهي امرأة اعتبرها مصدر إلهامه في هذا الفن.

ومن أجل المشاركة في ترسيخ النوع الموسيقي الأنثوي في الفضاء الفني بمكناس ، أنشأ الأستاذ الكبير محمد هواري ، المدير السابق للمعهد الوطني الموسيقي( بالحبول (، والموصل الأندلسي ومؤسس كورال مكناس للغناء الأندلسي ، تقليد موسيقي أصلي مكرس لذكرى الموسيقى الأندلسية وطرب الملحون بصيغة نسائيه وللقيام بذلك ، دعا زوجته حياة بوخريس ، المغنية الكبيرة ذات الشهرة العالمية التي استثمرت صوتها المرن المهيب للحفلات الموسيقية لتأسيس جسر متين بين المغرب والمشرق والبحر الأبيض المتوسط . وهي تستمد الأغاني الراقية من ذخيرة الملحون والغرناتي والنوبة العربية الأندلسية للقرن الثامن ، والمحفوظة بفضل التراث الموسيقي الذي يجد خطاباته النبيلة في المغرب العربي ، حيث تعتبر موسيقى كلاسيكية ومعلمة تراثية.

ترجع الآلات الموسيقية الرئيسية لهذا التراث الفني مثل الرباب،القانون،العوظ و الناي إلى أيام مجد الحضارة الأندلسية المغاربية ، كما توضح ذلك حياة بوخريس ، وهي أيضًا أكاديمية ومدرسة موسيقى وفن الملحون في نفس المعهد بمكناس ،حيث انها تهدف أولاً وقبل كل شيء إلى الحفاظ على هذا النوع الموسيقي الذي هو بمثابة ثمرة التأثيرات المتعددة بين المغرب العربي والأندلس والبحر الأبيض المتوسط.

ولدت حياة وترعرعت على الاستماع إلى إيقاعات وأشعار غناء الملحون والموسيقى الأندلسية، وهما أسلوبان فنيان ورثتهما عن أجدادها الشعراء والموسيقيين المعروفين بصقل كلماتهم ودقة لحنهم. حياة بوخريس ، الحاصلة على عدة جوائز في المغرب العربي والقاهرة وأوروبا توكد أن بذرة الفن هته زرعت في أرض خصبة لطالما رحبت بأطفالها المحبين للفن.

ويقع معهد لحبول في احدى الرياضات التي كانت تُعرف سابقًا باسم منازل الباشاوات ( دار البشاوات ) . وهو نصب فني ذو قيمة عالية ولكنه اليوم ايل للسقوط لقدم بنيانه وذلك تحت أعين السلطات البلدية الغافلة عن قيمته التاريخية و الفنية العالية. لقد ولدت هذه المعلمة أصوات أنثوية جميلة جداً مثلت المدينة بقوة في أحداث ثقافية واسعة النطاق.

من هذه الأسماء البارزة ماجدة اليحياوي. مغنية ملحون متميزة جدا، تخرجت من المدرسة العريقة للمعلم الراحل لحسين تولالي وتدربت على أيدي معلمين عظماء مثل الأساتذة الخمسي و الخياطي وغيرهم. ماجدة معترف بصوتها الرخم في المغرب وأقطار أخرى، ولكنها برزت أيضًا كمضيفة ومقدمة لبرنامج شدى الالحان على قناة 2M، وهو برنامج ساهم منذ سنوات في الترويج للفن المغربي وتأثيره.

مساهمة ليلى لمريني ليست أقل من سابقاتها، هذه المكناسية التي تربت على غناء الملحون منذ صغرها ، هي ايضا شغوفة بهذا الثراء الفني والثقافي و تستمر في المثابرة في طريقها كمغنية ومعلمة للملحون ، والذي تصفه بـ"أرقى أشكال التعبير الفني ورمز الهوية الفنية المغربية."

ومنذ فترة طويلة تعاطي اليهود في شمال إفريقيا هذا الفن وعملوا على ترك بصمتهم راسخة في عالم الموسيقى الأندلسية وموسيقى الملحون،كما جعلوا شغفهم بها يمتد إلى بقاع اخرى في المشرق والبحر الأبيض المتوسط.

آلات "القانون" و "العود" و "الناي" ، وهي آلات موسيقية مميزة لطرب الالة، لها اليوم مكانها في الأولمبيا ، في المسارح العالمية وايضا في قاعات الحفلات الموسيقية التابعة لليونسكو ، كما أن العازفة و المغنية المغربية زادت تألقا وحضورا بسحرها وأصالتها في المحافل العالمية الان .